

٤٠

منطق المستحيل
سري شاما

ذو النيات
سري شاما



النهار الباردة



Looloo

dvd4arab

١ - عالم يحترق ..

انطلق صوت الدكتور (حسن حسّان) ، عالم الطاقة الذريّة المصرى المعروف ، مجلجلاً وسط معمله فى هيئة الطاقة الذريّة المصرية ، وهو يصرخ غاضباً فى وجه مساعده الدكتور (محمد العفيفى) :

— خطأ يا أستاذ ... خطأ .. حتى ولو كان الكمبيوتر فهو خطأ .

أجابه الدكتور (محمد العفيفى) ، فى هدوء من اعتاد ثورات أستاذه :

— لقد قضيت ليلتين كاملتين أدرس حسابات الكمبيوتر يا أستاذى و

قاطعته الدكتور (حسن) فى صوت هادر :

— ولو .. حتى لو كنت قضيت شهراً كاملاً ، فلست أو من بما تقول .. لا بدّ لك أن تعيد حساباتك مرة أخرى .



سلوى



نور الدين



محمود



رمزى

تَهْدُ الذكور (محمد العفيفي) ، وعاد يقول في عناده
الذي اشتهر به داخل هيئة الطاقة الذرية :

— حساباتي سليمة للغاية ياسيدى .. إن مفاعل
(الإسكندرية) الذري على وشك الانفجار ، ما لم نسرع
بتلافى الخطأ .

نظر الدكتور (حسن) إلى مساعده نظرة قاسية
محتدة ، حتى حُيِّل للدكتور (محمد) أنه سيضعفه على
وجهه صفة قوية ، ولكن ملاحظ الدكتور (حسن) لم تلبث
أن لانت ، واكتست بالتفكير العميق والشُرود ، كدأبه
كلما أعاد التفكير في أمر ما ، وقال في بطاء ، وهو يضغط
كل حرف من حروف كلماته :

— حسناً يا (عفيفي) .. سأعيد دراسة تقريرك .

ثم عاد يصرخ في جِدَّة :

— والآن اغرب عن وجهي لأعمل في هدوء .

ابتسم الدكتور (محمد العفيفي) ، وهو يستدير
منصرفاً ، فقد كان يعلم مدى طيبة وعبقرية أستاذه ، ومدى

اهتمامه بالحقائق ، برغم جِدَّته الطبيعية التي تثير غضب كل
من يتعامل معه ..

ولم يكد الدكتور (محمد العفيفي) يغادر معمل
أستاذه ، حتى التقى بزميله الدكتور (سمير صبحي) ،
الذي استقبله ضاحكاً ، وهو يقول :

— هل طردك العجوز مرة أخرى من معمله ؟

ضحك الدكتور (محمد) ، وهو يقول :

— إنه عبقرى يا صديقى ، وللعبارة شذوذهم .

استغرق الدكتور (سمير) في الضحك ، قبل أن يقول :

— ولكن العجوز ملء بالشذوذ .. إنه غاضب ثائر

دائماً ، حتى أنني أخشى أن يحرقه غضبه هذا ذات يوم .

ابتسم الدكتور (محمد) ، وهو يلوح بكفه قائلاً :

— هذا إذا لم نحترق نحن أولاً .

وفجأة .. وصل إلى مسامعهما صوت الدكتور

(حسن) ، يأتي هادراً من خلف باب معمله المغلق ، وهو

يصرخ في غضب :

— ماذا يعنى هذا بحق السماء ؟

وأعقب ذلك صوت يشبه الفحيح ، ثم سكون مطبق ،
ظل عالما الذرّة يتبادلان نظرات الدهشة بعده عدة ثوان ،
قبل أن يغمغم الدكتور (سمير) فى قلق :

— ماذا حدث ؟

استدار الدكتور (محمد) ، وأسرع الخطا نحو معمل
أستاذه ، وهو يقول فى توثر :

— وهذا الصوت العجيب ؟.. ما هو يائرى ؟

لحق به الدكتور (سمير) وهو يفتح باب المعمل ،
واندفع كلاهما إلى الداخل ، ثم توقفا فى مزيج من الدهشة
والخيرة ، يتأملان المعمل الخالى ، وتمتم الدكتور
(عفيفى) :

— أين الأستاذ ؟.. ماذا حدث فى المعمل ؟

أمسك الدكتور (سمير) ذراع زميله ، وهو يقول فى
خوف خفى :

— هل تشمّ هذا ؟.. هناك ما يشبه رائحة الشبّاء .

غمغم الدكتور (محمد) فى دهشة ، وهو يتقدّم إلى
حيث كان يقف أستاذه :

— شواء ؟!!.. هذا صحيح ، ولكن

وفجأة .. تسمّر فى مكانه وهو يحدّق فى الأرض
بذهول ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتدلت فكّه
السفلى بشكل يشف عن الفزع والذهول .. أسرع إليه
الدكتور (سمير) ، وهو يسأله فى ذعر :

— ماذا حدث ؟.. ماذا ترى ؟

ثم تسمّر بدوره وهو يحدّق فى الشىء نفسه الذى ينظر
إليه زميله .. فهناك حيث كان يقف الدكتور (حسن) ،
استقر زوج من الأحذية .. نفس الحذاء الذى كان يرتديه
الأستاذ ، وبداخله جزء محترق من قدم بشرية ، وبقايا
جورب أتت النيران على معظمه ، وحول الحذاء تناثرت
بضع ذرّات من الرماد فقط .. ولاشئ غير ذلك ..
غمغم الدكتور (حسن) ، وهو يتعلّق بذراع زميله فى
رعب :

٢ - رماد الموت ..

انحنى الرائد (نور الدين محمود) ، يتأمل الحذاء والجورب المحترقين في دهشة ، والتقى حاجباه فوق أنفه ، وهو يعرض شفته السفلى في خيرة ، ويمد يده محاولاً لمس بقايا القدم المحترقة ، ولكنه لم يلبث أن أعاد يده إلى جانبه ، ونهض يتأمل جوانب المعمل الذى شهد الحادث الغامض ..

كان المكان عبارة عن معمل أبحاث تقليدى يفصل بالأجهزة الحديثة ، وشاشات الكمبيوتر المختلفة ، بالإضافة إلى لوح أسود ضخيم ، يميل جانب المعمل تقريباً ، وفوقه بضعة معادلات متراصة بشكل غير منتظم ، ومخطوطة بالطباشير الأبيض ..

وكان للمعمل بابان أحدهما يؤدى إلى الممر الخارجى ، والآخر إلى غرفة جانبية ، اعتاد الدكتور (حسن) النوم فيها إذا ما استغرقه العمل ، أو انهمك في دراسة معادلاته



— يا إلهى !! لقد حدث ما كنا نتدبر به منذ لحظات ..
لقد احترق الرجل .. احترق حتى قدميه !!



المعقدة ، ولكل من الغرفتين نافذة زجاجية سميقة ، تطل
على الحديقة الخارجية لمبنى هيئة الطاقة الذرية .

الفت (نور) يتأمل الشاب الضخم الجثة ، العريض
المنكين ، البالغ الطول ، الذى يقف على مقربة منه ، وفوق
وجهه الحليق ذى الملامح الواضحة الطيبة ، ومنظاره الطبى
السميك ، وشعره غير المنسَّق ، تبدو علامات حزن عميق
صریح ، حتى أن (نور) وجد لهجة تميل إلى المواساة وهو
يسأله :

— هل اعتاد الدكتور (حسن) قضاء بعض لياليه هنا؟
نظر إليه الدكتور (محمد العفيفى) فى حزن ، ومضت
بضع ثوانٍ قبل أن يجيبه قائلاً :

— بل قل معظم لياليه ، فلقد كان (رحمه الله) غير
متزوج ، وقد وهب حياته كلها لأبحاثه فى مجال الذرة ،
حتى أنه رفض يوماً الحصول على جائزة (حورس) للعلم ،
أو جائزة (نوبل) .. لم يكن يؤمن بالجوائز فى العلم ،
ولطالما قال إن الجائزة الوحيدة هى نجاح أبحاث العالم ،
وتطبيقها فى الحياة العملية .

أشاح (نور) بوجهه ، وقال وهو يمطّ شففيه :

— لم يكن الوقت بعد للاعتراف بوفاة الدكتور
(حسن) يا دكتور (محمد) .

نظر إليه الدكتور (محمد العفيفى) فى دهشة ، وهو
يغمغم :

— ماذا تعنى أيها الرائد ؟

هزّ (نور) كفيه ، وهو يقول :

— إن حذاء لامعاً ، وجورباً نصف محترق ، وبقايا قدم
بشرية التهمتها النيران ، ليست دليلاً على وفاة رجل لامع ،
مثل الدكتور (حسن حسّان) .

ظل الدكتور (محمد) ينظر إلى (نور) فى دهشة بعض
الوقت ، ثم غمغم :

— أتعشّم من كل قلبى أن تكون محقاً أيها الرائد .

قال (نور) ، وهو يعود إلى أبحاثه لفحص الحذاء
والبقايا المحترقة :

— سيُضح كل شئ عما قريب يا دكتور (محمد) .

ثم أردف ، وهو يشير إلى الأرض والأجهزة القريبة :
— إن مايشير دهشتي ، هو كيف يحترق رجل بأكمله ،
دون أن يترك سوى بضع ذرات من الرماد ، وبقايا قدم
محرقة ، وجورب وحذاء لامع ، على حين لا تصاب الأرض
والأجهزة القريبة منه بأية آثار للاحتراق ، أو حتى لمسيس
من النيران ؟

مطّ الذكور (محمد) شفّيته بدوره ، وهو يقول :
— يلوح لي أنني قرأت يوماً عمّا يشبه ذلك .
تفرّس (نور) ملامح الذكور (محمد العفيفي) في
إمعان ، ثم قال :
— الأمر يحتاج إلى بعض المتخصصين يا دكتور
(محمد) .

سأله الذكور (محمد) :
— أيّ متخصصين تعنى أيها الرائد ؟
قبل أن يجيبه (نور) ، دخل الذكور (سمير صبحي)
بجسده الضئيل النحيل ، ولحيته الضخمة الكثّة ، وعينه
الزرقاوين الواسعتين ، وشعره القصير الخفيف قائلاً :

— لقد وصل خير الطبّ الشرعي ، الذكور (محمد
حجازي) أيها الرائد .

تهدّد (نور) في ارتياح ، وقال وهو ينظر إلى الذكور
(محمد العفيفي) :

— هذا هو من أعنى بالمتخصصين يا دكتور
(محمد) .. ستري كم سيختلف الأمر ، بعد أن يُدلي
الذكور (حجازي) برأيه .

* * *

فحص الذكور (محمد حجازي) البقايا في عناية ،
دون أن يرفعها من مكانها ، ثم غمغم في اهتمام :
— يا إلهي !! إنه ذلك الاحتراق الذاتي اللعين .
غمغم (نور) في دهشة :
— الاحتراق الذاتي !!!

قال الذكور (حجازي) ، وهو يُولى البقايا المحترقة
اهتمامه :

— نعم يا بني .. (النار الباردة) التي استغلق سرّها على
العلماء والأطباء منذ عشرات السنين .

عاد (نور) يغمغم ، وقد تصاعدت دهشته :

— نار باردة؟! .. ماذا تقصد بهذا القول يا سيدي ؟

صمت الدكتور (حجازي) بعض الوقت ، وهو

يتأمل الدهشة الواضحة على وجه (نور) ، ثم قال :

— النار الباردة مجرد مصطلح ، يطلقه الأطباء

والعلماء على حوادث الاحتراق الذّاتي هذه يا (نور) ،

فقد واجه هذا اللغز علماء العالم منذ زمن طويل ، حيث

وجدت حالات عديدة ، احترق أصحابها تماماً ، دون أن

يتركوا سوى بقايا محترقة ، وقليل من ذرات الرّماد ، ودون

أن تصاب الأجزاء المحيطة بهم بأذى سوء ، بل إن هناك حالة

سجلتها مراجع الطب الشرعي منذ عام ألف وتسعمائة

وسنة وخمسين ، احترقت فيها سيّدة عجوز حتى أسفل

ركبتها ببضعة سنتيمترات ، وهي تجلس فوق مقعد خشبي ،

دون أن يصاب المقعد نفسه بخدش واحد ، أو تبدو عليه

حتى آثار النيران ، ودون أن يبقى مما احترق منها سوى بضع

ذرات من الرّماد ، ولديّ عدّة صور التقطها مصورو

الشرطة إبان الحادث .

قال (نور) ، دون أن تبدّد دهشته :

— ولكنّ هذا عجيب للغاية يا سيدي .

ابتمم الدكتور (حجازي) ابتسامه شاحبة ، وهو يقول :

— ولكنه حقيقي للأسف يا بني .

اختفت دهشة (نور) فجأة ، وحلّ محلّها ذلك العناد

الذي اشتهر به ، وهو يقول :

— ربّما يتعلّق الأمر بأشعة الليزر أو ...

قاطعته الدكتور (حجازي) ، قائلاً :

— لقد بدأ تسجيل حالات ضحايا (النار الباردة) قبل

كشف الليزر بسنوات عديدة يا (نور) .

ظهرت الخيرة على وجه (نور) لحظات ، ثم استدار

يسير في أرجاء المعمل ، حتى وصل إلى النافذة الكبيرة ،

فتطلّع من خلالها إلى حديقة الهيئة الخلفية ، وإلى العمارة

الضخمة الملاصقة لها ، وهو يفكر في شيء ما ، ثم التفت إلى

الدكتور (محمد العفيفي) ، وسأله في اهتمام :

— أمفتوحة كانت هذه النافذة أم مغلقة ، حينما كنت

تتحدّث إلى الدكتور (حسن) ، قبيل وفات يادكتور (محمد) ؟

نظر إليه الدكتور (محمد) في دهشة، وكأنما بدا له هذا السؤال غيباً وسط الأحداث، ولكنه لم يلبث أن أجاب في استخفاف واضح :

— لست أذكر هذا أيها الرائد .. إننى لم أنتبه إلى كون النافذة

قاطعته (نور) في لهجة بدت محتدة، وهو يقول :

— حاول أن تتذكر يا دكتور (محمد) .. تهمنى إجابة هذا السؤال جدًا .

قلّب الدكتور (محمد) كفيه في خيرة، وهو يقول :

— لست أذكر في الواقع ..

بدا الغضب على وجه (نور)، ولكن الدكتور (سمير)

أسرع يقول :

— كانت مفتوحة أيها الرائد .

التفت إليه (نور) بحركة حادة، قائلاً :

— كيف عرفت يا سيدي ؟

ارتبك الدكتور (سمير) لحظة، ثم استعاد ثباته وهو يقول :

— إننا في شهر أغسطس أيها الرائد، ومعمل الدكتور

(حسن) في الناحية الجنوبية من الهيئة، وهو يكره استخدام

أجهزة التكيف؛ لما تصنعه من ضوضاء، ويفضّل فتح

النافذة عن آخرها .. إنها عادته منذ سنوات أيها الرائد .

تراقصت ابتسامة خيثة على شفתי (نور)، وهو يسأل :

— عجباً!! رجل يكره الضوضاء، ثم يفتح نافذة

معمله عن آخرها، برغم أنه يعمل في الدور الأرضي؟ .. ألن

تكون مصدرًا للضوضاء في حد ذاتها؟

قال الدكتور (حسن) في برود :

— كلاً بالطبع .

سأله (نور) في حدة :

— ولم لا ؟

ابتسم الدكتور (سمير)، وهو يقول في لهجة أقرب إلى

السخرية :

— باختصار .. لأن المعمل يعد مائة متر تقريباً عن

أقرب طريق مطروق، فهو يطل على الحديقة الخلفية في

منتصف الهيئة تمامًا، والجزء الخاط بالحديقة يفصلها تقريبًا عن باقي المبنى، ولا يرتادها سوى البستاني مدة ساعة واحدة يوميًا، تنتهي قبل استيقاظ أو قدوم الدكتور (حسن)، ثم إن الحديقة نفسها تنتهي بجانب المبنى، الذي تراه من النافذة، وهو كما ترى خالٍ من النوافذ في هذه الناحية بالذات .

قُطِبَ (نور) حاجبه، وهو ينصت إلى الدكتور (سمير) في اهتمام، حتى انتهى من حديثه، ثم غمغم في شروء :
— هذا يعني أن الحديقة تعتبر معزولة تقريبًا عن باقي المكان .

ثم التفت إلى الدكتور (محمد العفيفي)، وسأله :
— من يعمل أيضًا في هذا الطابق، بالإضافة إليك وإلى الدكتور (سمير) ؟

مطَّ الدكتور (محمد) شفثيه، وهو يقول :
— (إبراهيم سرحان) و (نادر فهم) فقط .. إنهما فتيان من فئتي الهيئة، يقومان بإعداد الأجهزة للعمل .

استدار (نور) نحو الدكتور (حجازي)، وسأله في حماس :

— هل يمكنك دراسة البقايا المحترقة هنا، وإعطائي تقريرًا سريعًا، حتى يصل فريقى ياسيدى ؟
هزَّ الدكتور (حجازي) كتفيه، وقال :
— بالطبع، إذا ما توافرت بعض الأدوات، وميكروسكوب إلكترونى أو أيونى .

قال الدكتور (محمد)، وقد انتقل إليه حماس (نور) :
— ستجد كل ما تريد في قسم دراسة آثار الإشعاع على الحيوانات ياسيدى .

ابتسم الدكتور (حجازي)، وقال :
— في هذه الحالة يمكننى إعطاؤك التقرير، في زمن لا يتجاوز الساعتين يا (نور) .
صاح (نور) في حماس :
— هذا رائع .. سأطلب عدم السماح بمغادرة المنطقة، حتى بالنسبة لسكانها، طوال هاتين الساعتين .

نظر إليه الجميع في دهشة، على حين سأله الدكتور
(حجازي) :

— ماذا تحاول أن تثبت يا (نور) ؟

أجابه وهو يضغط أزرار (التليفيديو)، في سرعة
وحماس :

— أحاول إثبات أن الدكتور (حسن حسّان) لم
يحترق، بل اختطف ياسيدي .



٣ — نهاية عالم ذرّة ..

هزّ الطيب النفسي (رمزي) رأسه، وقال في لهجة توحى
بالشك :

— اختطاف ١٢.. هذا يبدو لي عجيّباً أيها القائد .
خاصّة وأننى قرأت كثيراً عن (النار الباردة)، والاحتراق
الذائق هذا، وأميل إلى الاقتناع بالنظرية التى تسبب ذلك
للعصية المفرطة، أو تعاطى الكحوليات بإسراف .

قال (نور) في عصبية :

— مادام الجميع يعلمون ذلك، فمن الطبيعى أن
يستغله المختطفون أيضاً، لتغطية فعلتهم .

تردّدت (سلوى) لحظة قبل أن تقول :

— هذا يتوقّف على وجود ما يدلّ على ذلك يا (نور) .

أشاح (نور) بيده، قائلاً :

— إذا كنت تقصدان الدليل المادّي، فهو منعدم تقريباً

يا عزيزتي، ولكن برأسي تصوّر معين للاختطاف، وإن لم
تتكمّل أركانه بعد .

سأله (محمود) في فضول :

— ما تصوّرك بالضبط أيها القائد ؟

هزّ نور كتفيه، وقال :

— ليس بعدُ يا (محمود) .. سأخبركم بتصوّراتي كاملة،
بعد أن ينتهي الدكتور (حجازي) من فحص البقايا، وبعد
أن أستجوب الفنيّين (إبراهيم) و (نادر) .

وفي نفس اللحظة، سمع الجميع صوت دقات هادئة على
باب المعمل، انزاح بعده الباب المتحرّك . ورأوا شاباً طويل
القامة، ضيق الكتفين، حليق الوجه، له شعر قصير أسود،
ونظرات فاحصة قوية، تطلّ من عينيه الضيقتين السوداوين
أسفل حاجبين كثيفين .. تقدّم منهم الشاب، وتفحصهم
جميعاً في سرعة، قبل أن يضمّ كفيّه أمام جسده، قائلاً في
هدوء :

— سمعت أنكم تريدون استجوابي أيها السادة .. اسمي
(إبراهيم سرحان) .

تفحصه (نور) بدوّره، قبل أن يسأله في برود :

— ما رأيك فيما حدث يا (إبراهيم) ؟

ارتسمت ابتسامة صفراوية خبيثة ساخرة على شفّتي

(إبراهيم)، وهو يقول :

— هل تهوى توجيه أسئلتك بهذه السرعة أيها الرائد ؟

جاوبه (نور) بابتسامة أكثر خبيثاً وسخرية، وهو يقول :

— نعم .. حيناً لا يكون لدى ما يكفّي من الوقت

للمجاملات السخيفة .

اتسعت عينا (إبراهيم) وكأنّ إجابة (نور) قد صدمته،

ثم لم يلبث أن عاد إلى ابتسامته العجيبة وهو يقول :

— لِمَ لا نتعامل بوضوح أكثر، فسألني عمّا كنت

أفعله وقت الحادث ؟

هزّ (نور) كتفيه، وقال :

— ولِمَ لا ؟ .. إنني أنتظر جواباً للسؤال الذي وجّهته

لنفسك .

مطّ (إبراهيم) شفّتيه، وقال في هدوء :

— حسناً أيها الرائد .. لقد كنت أعيدُ بعض الأجهزة،

للعمل في معمل الدكتور (محمد العفيفي)، حينما علمت
بأمر احتراق الدكتور (حسن) ذاتياً.

سأله (نور) في هدوء، وكأنما الأمر لا يعنيه كثيراً :
— وهل لديك دليل على ذلك ؟

قال (إبراهيم) في سخرية :

— يمكنك سؤال أجهزة المعمل نفسه، فلم يكن هناك
سواي .

ساد الصمت التام بعد عبارة (إبراهيم) الساخرة،
وأخذ يتبادل مع (نور) نظرات أبرد من ثلوج القطب
الشمالي، قبل أن يقول هذا الأخير :

— حسناً ياسيد (إبراهيم) .. سأكتفى منك بهذا
الحديث .

ودون أن ينطق بكلمة واحدة، استدار (إبراهيم
سرحان)، وغادر الغرفة في هدوء، ولم يكذ يغلق الباب
خلفه، حتى تنهَّدت (سلوى) بصوت مسموع، وهي تقول
في ضيق :

— ما أبغضه من رجل !!

قال (رمزي)، وهو يميل برأسه جانباً :

— إنه من ذلك النوع الذي يجمع بين عقدتي
العظمة والشعور بالاضطهاد، فهو يشعر بمهارته في أداء
عمله، ولكنه في الوقت نفسه يعتقد أنه لا يتبوأ المكان
المناسب لخبرته وقدراته، ومثل هذا النوع يواجه
الاستجابات بنوع من التحدى والغطرسة .

غمغم (نور)، وهو يفكر في عمق :

— ويمكنه أيضاً قتل رجل، تجرّد أنه ثار في وجهه، أو
نعتة بلفظ يكرهه ؟

هزّ (رمزي) كتفيه، وقال :

— هذا جائز، ولكنه غير محتم، فقد ينظر إلى الأمر
بتعال .

سأل (محمود) :

— وماذا عن قرار منع السكّان من مغادرة المنطقة ..
لقد أثار الحنق والغضب في نفوس الجميع .

صمت (نور) بضع لحظات، ثم قال :

— إنها مجرد ساعات ثلاث يا (محمود) .. هذا كل ما
نجحت في الحصول عليه من المسئولين، ولم يكن ذلك سهلاً
على الإطلاق .

رفع (رمزي) حاجبيه، وقال :

— هذا يحتم التوصل إلى الأمر قبل مضي الساعات
الثلاث، ولا أظن ذلك سهلاً أيها القائد .

نظر (نور) في ساعته، وقال في هدوء :

— لقد مضت نصف ساعة منذ تطبيق الأمر، وبدء
الدكتور (حجازي) فحصه للبقايا، ولقد وعدني بإعطائي
التقرير النهائي بعد ساعتين، وحينما أحصل عليه ستكون
أمامي ساعة كاملة للتفكير، والتوصل إلى الحل ..
ثم صمت لحظة، وأردف في ضيق :

— أو الاستسلام .

استغرق الدكتور (محمد حجازي) بكل حواسه في
متابعة الشكل المعقد، الذي بدا أمامه فوق شاشة

الميكروسكوب الأيوني، وازدادت حدقاته ضيقاً، حتى بدا
وكأنه قد استغرق في النوم، واعتمد بذقنه على إبهام يده
اليسرى، وهو يغمغم في صوت شديد الخفوت :

— عجباً !! هذا الذي أراه يثير الاهتمام بشكل بالغ ..
كيف يمكن أن يقع إنسان في خطأ تافه إلى هذا الحد ..
ثم انحنى وخلع منظاره الطي، وهو يتأمل الشاشة عن
قرب، وعاد يغمغم في دهشة :

— يا إلهي !! إن (نور) هذا عبقرى ..

وتناول قلمًا قريبًا، وأسرع بخطُّ بضع كلمات فوق ورقة
نصف ممزقة، بطريقة تدلُّ على الانفعال الشديد، ثم عاد
يتأمل الشاشة مغمغماً :

— سذهله هذه الحقيقة .. لقد كان الفتى على حق .
وعاد يتابع ما يدور في انهماك وحماس، حتى أنه لم
يشعر بالرجل الذي تسلَّل إلى غرفة الفحص في صمت،
واقترب منه بخفة قِطْ، وحينما اعتدل الدكتور (حجازي) في
مقعده ليتابع فحصه للشاشة، لمح ظل الرجل يقترب،



ولكنه تلقى ضربة قوية على مؤخرة عنقه ،
دارت الغرفة بعدها أمام ناظره ..

فاستدار في جدة محاولاً كشف شخصية المتسلل ، ولكنه
تلقى ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، دارت الغرفة بعدها أمام
ناظره ، واستبد بها الظلام ، قبل أن يفقد وعيه تمامًا ..
مد المعتدى المجهول يده إلى الورقة التي خطت فوقها
الدكتور (حجازي) ملاحظاته ، فرفعها وأخذ يقرؤها في
هدوء ، ثم لم يلبث أن ابتسم في سراسة ، ونظر إلى جسد
الدكتور (حجازي) الممدد فوق الأرض ، وهو يقول في
سخرية :

— أكنت تنوى تقديم هذا التقرير للشرطي أيها المأفون .

يا لك من أبله !!

وفي هدوء شديد أخرج قنّاحته ، وأشعل النار في الورقة
حتى التهمت ، ثم ألقاها أرضاً ، وسحق بقايا رمادها بجذائه ،
وعاد يلتفت إلى الدكتور (حجازي) ، قائلاً في سخرية :
— معذرة ياخبير الطب الشرعي .. الأمور تضطرننا إلى
إخفاء معالم الأمر تمامًا .

تأمل (نور) الفتى (نادر فهم) في هدوء .. كان شاباً متوسط الطول، له شارب ضخيم يغطي معظم وجهه النحيل، وإن بدا قوامه ممشوقاً قوياً بسبب تناسق أعضائه، ورياضته الواضحة في وجنتيه القويتين، وجبهته العريضة، وكان شعره الناعم الطويل، وعيناه الواسعتان يُضفيان عليه مظهرًا وسميًا، وهو يقول في هدوء :

— تسألني أين كنت أيها الرائد؟ .. لحظة الحادث تعنى، أم الآن؟

قال (نور) في هدوء مماثل :

— أغنى كليهما يا (نادر)، فلقد بحثنا عنك طويلاً نستجوبك عمّا حدث إبان الواقعة، فلم نُجدك، ثم تظهر فجأة، فأين كنت؟ ابتسم (نادر) قائلاً في هدوء :

— كنت أزدى عملاً هاماً أيها الرائد .

سأله (نور) :

— وما هو بالضبط هذا العمل؟

صمت (نادر) لحظة، ثم قال :

— كنت أنسق مكتب الدكتور (حسن) الخاص و ..

قاطعته (رمزي) قائلاً :

— إما أنك صاحب أقوى أعصاب عرفتها في حياتي، أو أن الأمر لا يعينك كثيراً ياسيد (نادر) .. إذ كيف تهتمك في تسيق مكتب رجل، لم تمض على احتراقه ساعتان؟

صمت (نادر) بعض الوقت، ثم قال :

— هناك أمور يفعلها المرء بحكم العادة ياسيدى .

سأله (نور) في حدة :

— حتى ولو اختلفت العادة بمحادث غامض يا (نادر)؟

نظر إليه (نادر) في برود، وقال :

— ربّما كنت أجد في ذلك بعض المواساة أيها الرائد .

قال (نور) بابتسامة غامضة :

— أو بعض الفائدة ياسيد (نادر) .

احتقن وجه (نادر)، وهو يقول في حدة :

— ماذا تعنى أيها الرائد؟

قبل أن يجيبه (نور) ، اندفع الدكتور (سمير) إلى الغرفة ، وهو يقول في قلق :

— ما نوع الفحوص التي يجريها طبييكم الشرعى ياسادة ؟

التفت إليه الجميع في مزيج من الدهشة والقلق ، على حين سأله (نور) :

— ماذا تعنى بسؤالك هذا يادكتور (سمير) ؟

ازدرد الرجل ريقه ، وقال في توثر :

— هل يقوم بحرق بقايا القدم ؟

نظر إليه الجميع في دهشة ، وقال (نور) :

— إنه لا يفعل ذلك بالتأكيد ، ولكن ماذا تعنى

بسؤالك هذا ؟

ارتجف جسد الدكتور (سمير) ، وهو يقول :

— إنه لا يجيب على طرقاتي ، ثم إن هناك .. هناك .

وظهر بعض التوثر على وجهه ، مما دفع (نور) لسؤال

في عصبية :

— ماذا هناك يادكتور (سمير) ؟ تكلم ..

قال الدكتور (سمير) في صوت خافت ، تلوح فيه علامات الخوف :

— هناك رائحة شواء تتصاعد من غرفة الفحص ،

وكأنما احترق طبييكم الشرعى بدوره أيها السادة !!

* * *



٤ — القتلة ..

قبل أن يُتَمِّمَ الدكتور (سمير) عبارته ، كان (نور) قد استلَّ مسدسه الليزريّ ، واندفع مغادرًا الغرفة ، وهو يتمم في دُعر :

— لا .. لا .. ليس هذا الرجل .. ليس الدكتور (حجازي) .

أسرع أفراد فريقه يحاولون اللحاق به ، وهو يصعد في درجات مبنى الهيئة قفزًا ، حتى وصل إلى الطابق الثاني ، حيث غرفة الفحص ، وأخذ يدقُّ بابها في عصبية ، هاتفًا باسم الدكتور (حجازي) .. ولما لم يتلقَ جوابًا ، صوّب مسدسه الليزريّ إلى الرّجاج الإلكترونيّ ، وأطلق دفعةً من أشعته دون تردّد أذابت الرّجاج ، فانزلق الباب من تلقاء نفسه مفتوحًا ...

هتف (نور) من أعماق قلبه باسم الدكتور

(حجازي) ، ثم اندفع وسط سحابة من دخان كثيف ، تحمل رائحة الشواء إلى الداخل ، وانحنى فوق جسد الدكتور (حجازي) يفحصه بسرعة ثم لم يلبث أن هتف في جزع :
— ربّاه !! لقد قطع أحدهم أوردة معصمه .. لقد نزف كثيرًا من دماثة .

أسرع (رمزي) يحاول إيقاف النزيف ، على حين ألقى (نور) نظرة سريعة على المكان وهو هتف :
— ولكن .. رائحة الشواء !! إنها ..

قاطعته الدكتور (سمير) ، وهو يشير إلى حيث توضع العينات المراد فحصها بالميكروسكوب الأيوبي ، صائحًا :
— يا إلهي !! إنها البقايا المحترقة .. لقد أتت عليها النيران .

نظر الجميع إلى حيث أشار الدكتور (سمير) ، على حين قال (نور) ، وهو يحرك بقايا الورقة المحترقة بطرف خذائه :
— يبدو أن هذا ليس الشيء المحترق الوحيد في هذه الغرفة يا دكتور (سمير) .

وعاد يتأمل الدكتور (حجازى) الفاقد الوعى،
(رمزى) الذى يحاول إسعافه فى اهتمام، ثم أردف فى
غضب مكوم :
— ولكن هؤلاء القتلة قد أخطئوا، واضطربوا للكشف
عن أنيابهم .

* * *

تهتد (رمزى) وهو يلقي بجسده المنهك فوق مقعد وثير،
قائلاً :

— أظن أن خيرنا الشرعى سينجو.. لقد فقد الكثير
من دمه، لكن بنيته قوية، ولقد أعطيته ما يساعد جسده
على المقاومة .

نظر إليه عالما الذرة والفنيان و (سلوى) و (محمود) فى
أسف، على حين قال (نور) فى هدوء :
— هذا من حسن حظ القتلة، المختطفين، فلو كانوا قد
أصابوا الدكتور (حجازى) بضرر بالغ، لجعلتهم يتمنون
الموت حين أضع يدى عليهم .

نظر إليه الجميع فى دهشة، وغمغم الدكتور (محمد
العفيفى) :

— أما زلت تصرُّ على وجود قتلة ومختطفين أيها الرائد ؟
قال (نور) فى هدوء، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :
— كل الإصرار يادكتور (محمد) .

قال (إبراهيم) فى لهجة تحمل بعض السخرية :
— برغم اقتناع الجميع بأمر الاحتراق الذاتى و (النار
الباردة) ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (نور)، وهو
يقول :

— ربّما تفسّر نظرية (النار الباردة) اختفاء الدكتور
(حسن)، ووجود بقاياها المحترقة ياسيد (إبراهيم)، ولكن
كيف يمكنها تفسير احتراق البقايا والورق، وقطع أوردة
معصم الدكتور (حجازى) .

التقى حاجبا (إبراهيم) فى رفض، على حين تبادل
الجميع نظرات التساؤل، وتابع (نور) فى هدوء :

— إن للدكتور (محمد حجازي) — كشأن معظم العلماء — عادات ربما تبدو غير طبيعية أو مألوفة بالنسبة لهذا العصر، ولكنها ترتبط بصاحبها، حتى تصبح جزءاً منه ومن شخصيته، ومن هذه العادات أنه حيناً ينهمك في فحص جثة، أو بقايا تمثل أهمية بالغة بالنسبة لقضية ما، فإنه ينسى ما حوله تماماً، ويرفض الاستعانة بالتسجيل الصوتي أو الكمبيوتر في أثناء تسجيل ملاحظاته، يصر على كتابتها فوق أية ورقة يجدها إلى جواره، وأحياناً على سطح المائدة، التي يفحص فوقها الأشياء .

قاطعته (نادر)، قائلاً في ضجر :

— هل سنستمع إلى قصة حياة خيركم الشرعى هذا ؟
ابتسم (نور) وهو يتأمل ملامحه في صمت، ثم أشاح بوجهه مستطردًا :

— باختصار .. يمكننى أن أتخيل ما حدث داخل غرفة الفحص .. سأقول إن الدكتور (حجازي) كان منهمكاً في تدوين بعض الملاحظات الهامة والخطيرة، التي وجدها في

البقايا التي يفحصها، حيناً تسأل شخص ما إلى الغرفة، وباعته بصرية فنية لا تترك أثراً، ولكنها تفقد الإنسان وعيه .. وقرأ هذا الشخص ما كتبه الدكتور (حجازي)، ثم أحرق الورقة، وسحق رمادها بقدمه، وقطع أوردة معصم الدكتور (حجازي)، ثم أشعل النار في البقايا ليقتضى عليها نهائياً .

كان (نور) يتحدث وهو ينظر إلى الحاضرين، محاولاً فهم انطباعاتهم، ولكن الدهشة ملأت وجوههم جميعاً، حتى انتهى من حديثه، فقال (نادر) :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا يفعل هذا شخص ما ؟

قال (نور) في اهتمام :

— لأن الدكتور (حجازي) كشف شيئاً خطيراً يتعلق بالبقايا .. شيئاً يقلب الأمور رأساً على عقب .

سألته (سلوى) في فضول :

— شيء، مثل ماذا ؟

صمت (نور) لحظة، ثم قال :

— شيء مثل عدم انتهاء البقايا للدكتور (حسن) .

صاح الدكتور (محمد العفيفي) في دهشة :

— ماذا يعني هذا ؟

قال (نور) في استرسال عجيب :

— يعني أن هناك لحظة وضعت بدكاء ومهارة، لاختطاف الدكتور (حسن حسان) ، من قبل بعض الجهات التي تتعمد حرماننا من تقدُّمنا العلمي باستمرار .. استمعوا إليَّ جيِّداً أيها السادة .. إن المنطقة التي تطلُّ عليها نافذة معمل الدكتور (حسن) حديقة معزولة تماماً، فلو تسلَّل إليها رجل وهاجم الدكتور (حسن) فجأة، وتمكَّن من إفقاده وعيه، فسيتمكَّن من تهريبه عبر الحديقة، إلى أي مبنى مجاور .

سأله (رمزي)، في اهتمام من يتق بقائده :

— وكيف ينجح في ذلك يا (نور) ؟

ابتسم (نور) وقال :

— بل سأخبركم كيف نجح بالفعل في ذلك، مستغلاً إجراءات الأمن المعروفة .. لقد تحدَّث الدكتور (حسن) مع مساعده الدكتور (محمد) في ثورة، ثم أمره في النهاية أن

يغادر المعمل، ويتركه يعمل في هدوء، وبعد انصراف الدكتور (محمد)، تسلَّل المعتدى إلى المعمل من خلال النافذة، ورشَّ بعض الروائح الكيميائية الصناعية التي تشبه رائحة الشَّواء، فتسَّبَّه الدكتور (حسن) إلى وجوده، وصاح بالعبارة التي سمعها الدكتور (محمد) والدكتور (سمير) قائلاً : «ماذا يعني بحق السماء ؟» .. وفي تلك اللحظة ناوله المعتدى لكلمة أفقدته الوعي، ووضع البقايا المحترقة في مكانه، وحمله إلى غرفته الملحقة بالمعمل، وأغلقها خلفه تماماً .. وحينما دخل الدكتور (محمد) والدكتور (سمير) ورأيا تلك البقايا المحترقة، وتصوَّرا احتراق رئيسهما، كان من الطبيعي أن يغادرا المعمل، ويغلقا بابه خلفهما، حتى يحضر رجال الأمن والشُّرطة .. وهنا تسلَّل المعتدى بضحيته من خلال النافذة الأخرى إلى الحديقة، وأسرع بتسليم الدكتور (حسن) الفاقد الوعي إلى أعوانه، الذين أخفوه في مهارة قبل أن تبدأ إجراءات الأمن، استعداداً لتهريبه إلى خارج البلاد، على حين عاد المعتدى إلى داخل الهيئة ليؤدِّي

٥ - العمل السري ..

انفجر اتهام (نور) وسط الحاضرين بدوى صامت،
بدا فوق الوجوه دون أن يغادر الصدور، إلى أن صاح
الدكتور (سمير) :

— إنه اتهام عنيف أيها الرائد، وأنت لا تمتلك دليلاً
واحداً يؤيد ما تقول .

هز (نور) كفيه، وهو يقول في بساطة :

— ربما أن الدليل المادى الوحيد قد احترق، ولكن
هذا لا يعنى عدم قدرتي على الإيقاع بالمختطفين القتلة، فما
زالت أمامي ساعة كاملة .

قال (إبراهيم)، وهو يمحط شفثيه في استهتار :

— يمكنك أن تحاول على الأقل أيها الرائد .

على حين صاح (نادر) في غضب :

— لقد أنهمتا جميعاً أيها الرائد، وسنقاضيك من أجل

ذلك .

عمله كالاعتاد متظاهراً بالبراءة، وهو يتصور نجاح مهمته ..
ولكنه حيناً فوجئ بوجود الدكتور (حجازي) وبفحصه
السريع للبقايا، خشي الفضح الأمر، فأسرع يتخلص من
البقايا، ومن السجل الذى دونه الدكتور (حجازي)،
ومن الدكتور (حجازي) نفسه أيضاً .

قال (إبراهيم) في جِدَّة :

— هل تفهم ماذا يعنى تحليلك هذا أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) في غموض، وهو يقول في برود :

— نعم يا سيّد (إبراهيم) .. إنه يعنى ببساطة أن الخائن

وعميل القتلة هو أحد العاملين بهذا الطابق .. إنه أحدكم أيها
السادة !!

لُوح (نور) بكفّه علامة اللامبالاة، وهو يقول :
— المهم أن نجد الدكتور (حسن)، ولنفعل ما تشاء
بعد ذلك ياسيد (نادر).

صاحت (سلوى) في دهشة :

— ولكنك تفقد الدليل هذه المرة يا (نور).. إنك
لا تعلم حتى لماذا يختطفون الدكتور (حسن).
وفجأة.. ضرب الدكتور (محمد العفيفى) جبهته
بكفّه، صائحًا :

— يا إلهى !! المعادلات؟! .. لقد نسيت أمر مفاعل
(الإسكندرية) تمامًا .

سأله (نور) في حدة :

— ماذا تعنى يا دكتور (محمد) ؟

صاح الدكتور (محمد) في جزع :

— كيف لم أنتبه إلى ذلك فى حينه؟ .. لقد أنساني
الحادث أمر مفاعل (الإسكندرية) النووى.. إن هذا
المفاعل سينفجر، ما لم أجد المعادلات التى سلّمتها إلى
الدكتور (حسن).

ساد الصمت المشوب بالدُعر، إلى أن قطعه (نور)
قائلًا فى هدوء :

— قصّ علىّ أمر هذه المعادلات يا دكتور (محمد).

انهار الدكتور (محمد العفيفى) فوق مقعد قريب، وهو
يقول :

— فى كل المفاعلات النووية يوجد ما يسمّى بنظام
التبريد المستمر، وهو يعتمد على وجود رشاش من الماء
البارد، للمحافظة على درجة حرارة سطح المفاعل
باستمرار، وهذا الماء يتبخّر فور ملامسته السطح، نظرًا
لحرارته الشديدة، ويتم تسريب هذا البخار باستمرار،
وبمعدلات ثابتة، حتى لا يؤدي تجمّعه إلى انفجار المفاعل..
وفى مفاعل (الإسكندرية) حدث خطأ فى التسرب
البخارى، ممّا أدّى إلى تجمّع بعض الغازات أو نواتجها
باستمرار، وسيتعرّض هذا المفاعل للانفجار فوق تجمّع
ما يزيد على طاقته من الأبخرة، والغازات .

أمسك (نور) كفيه بيّره بقوة، صائحًا :

— وكيف يمكن منع ذلك ؟

قال في لهجة متخاذلة :

— بالعثور على المعادلات التي سجّلتها على أسطوانة الكمبيوتر .. إنها الطريقة الوحيدة لإنهاء الموقف ، دون تعريض المنطقة المحيطة بالمفاعل للخطر .

صاح (محمود) :

— ألا يمكن دراسة الأمر مرة أخرى ؟

هزّ الدكتور (محمد) رأسه في أسف ، وقال :

— لقد استغرق الأمر ليلتين كاملتين في المرة الأولى ، وسيستغرق يوماً على الأقل هذه المرة ، وهذا أكثر مما يمكن أن يحتمله مفاعل (الإسكندرية) قبل انفجاره .

ساد الصمت في الغرفة ، وعقد (نور) ساعديه أمام صدره ، قائلاً في صوت خافت :

— إذن ، فهذا هو سبب اختطاف الدكتور (حسن) .
ثم استدار إلى الحاضرين وبينهم رفاقه ، واستطرد في هدوء :

— أراهن أن أمر مفاعل (الإسكندرية) هذا مفتعل أو مدبّر ، وهو سبب كل ما يحدث هنا .

هزّت (سلوى) رأسها ، وهي تقول في إصرار :

— ولكنك لا تمتلك دليلاً هذه المرة يا (نور) .

ابتسم (نور) قائلاً :

— هذا ما لم نعتبر الهجوم على الدكتور (حجازي) دليلاً

ياعزيزي .

ثم ابتسم مستطرداً :

— ثم إن هناك ما يسمى بالتخيّل المدروس ، أو بمعنى أصح وضع النفس في موقع المختطفين ، وتخيّل ما يمكن أن يقدموا عليه .. ولقد أثبتنا هذا الأسلوب يوماً يارفاق (*) .

ابتسم (إبراهيم) في سخرية ، وقال :

— وماذا يقول تخيّلك الـ ... المدروس هذا أيها الرائد ؟

استطرد (نور) ، متجاهلاً رؤية السخرية في صوت

(إبراهيم) :

— لقد فعلت ذلك حينما علمت بتفاصيل

الأمر .. وضعت نفسي في موقع المختطفين ، وأخذت أفكّر

(*) راجع قصة (أشعة الموت) .. المغامرة رقم ١

كيف يمكنني اختطاف عالم مصرى في ظل هذه الظروف ،
 فأوصلنى عقلى إلى ما سمعتموه منى منذ لحظات .

انفجر (إبراهيم) فجأة ضاحكًا ، وقال بلهجة تفجرت
السخرية في كل حرف من حروفها :

— يا للتفكير العلمى المنظم !! ومن أين أتى هؤلاء
اغتطفون أيها العبقري ؟

ابتسم (نور) ، متجاهلاً اللهجة الساخرة للمرة الثانية ،
 وهو يقول في هدوء :

— لو كنت في مكانهم ، فسأجأ إلى أقرب بناية ،
 لضمان أكبر قدر ممكن من السرية .

وتحرك بضع خطوات ، مواجهها النافذة الزجاجية
المفتوحة ، وتطلع منها في صمت بضع ثوان ، ثم أشار إلى

البناية الملاصقة لحديقة الهيئة الخلفية ، وقال في هدوء :

— بناية مثل هذه مثلاً .
 ساد الصمت لحظة ، التفت الجميع خلالها إلى حيث

أشار (نور) ، ثم غمغم الدكتور (محمد) في صوت
شاحب :

— وكيف يمكنك إثبات فكرتك الجنونية هذه ؟

نظر (نور) في ساعته ، وقال في هدوء :

— ما زالت أمامنا خمس وأربعون دقيقة ، قبل انتهاء

حظر مغادرة المكان .. ويمكننا اقتحام المبنى وتفتيشه و ...

قاطعته صوت بارد ، يقول في لهجة بطيئة :

— إنكم لن تذهبوا إلى أى مكان أيها الرائد .

استدار الجميع في دهشة إلى مصدر الصوت ما عدا

أحدهم .. كان هو نفسه مصدر الصوت .. وكان يصوب

إليهم مسدسًا ليزريًا قويًا ، وهو يستطرد في لهجة ساخرة :

— إنها نهاية الرحلة أيها السادة .. وبداية رحلة الانتقال

إلى جنة الأغبياء .

فتح الدكتور (حسن حسنان) عينيه في صعوبة .
وترأت له الأجسام والأشياء مضطربة مُشوَّشة بضع
دقائق، قبل أن يستعيد عقله صفاءه، ويرى في وضوح
رجلين ضخمي الجثة، لهما ملامح تجمع بين الأوربية
والشرقية، يتطلعان إليه في اهتمام واضح، وقد بدا على وجه
أكبرهما شيئاً من القلق والتوتر .. قال الدكتور (حسن)
في عصبية :

— أين أنا ؟ .. من أنتما ؟

أشار الأكبر شيئاً إلى زميله في ضجر، فأسرع هذا
الأخير يهدئ من زوَع الدكتور (حسن)، قائلاً :
— رويدك أيها المصري .. إننا لانوى إيذاءك .
تطلع إليه الدكتور (حسن) في دهشة، وهو يغمغم :
— أيها المصري !؟ .. هل يعنى هذا أنكما غير
مصريين ؟ من أنتما ؟

قال الأكبر شيئاً في عصبية :

— صه أيها العجوز الأخرق .. لن أحتمل عصيتك
الآن .

صاح الدكتور (حسن) :

— أنا أيضاً لن أحتمل عصيتك أيها الجاسوس الوغد .

لوح الأكبر شيئاً بكفّه في ضجر، وقال لزميله :

— أغطه جرعة أخرى من المخدر يا (دافيد) .. دَعه ينام

حتى ينتهي ذلك الحظر اللعين .

سأله (دافيد)، وهو يتناول أنبوتاً رقيقاً له إبرة مدببة

قصيرة :

— كم بقى أمامنا يا (شتاين) ؟

نظر (شتاين) إلى ساعته، وقال في توتر :

— أربعون دقيقة تقريباً .

صاح الدكتور (حسن) في تلك اللحظة، وأخذ يسبُّ

ويلعن حينما غرس (دافيد) الإبرة في ذراعه، وهو يقول :

— ستحطم أعصابي تماماً، قبل أن تمضى هذه الدقائق .

حاول (شتاين) أن يبدو هادئاً، ولكنَّ العصية قفزت مع كلماته، وهو يقول :

— سرعان ما تمضى فترة الحظر، ومنتقل بهذا العجوز اللعين إلى سفارتنا، ومن هناك يمكننا تهريبه بطريق الشحن الدبلوماسى .. إطمئن يا (دافيد) .. سيسير كل شيء كما خططنا له تماماً .. لاتس أننا الأقوى .

نظر إليه (دافيد) فى شك، ثم غمغم فى تخاذل :

— مادمت تقول هذا فهو حقيقى أياها الرئيس .. أليس كذلك ؟

* * *

مطَّ الرائد (نور) شففيه، وقال فى هدوء وهو يتطلَّع إلى الرجل الذى يصبُّ إليهم مسدسه الليزرى الضخم :

— لقد حرمتى لذَّة استتاج الحقيقة هذه المرَّة .. لن أغفر لك هذا ياسيد (نادر) .

ابتسم (نادر) فى سخرية، وقال :

— ليس إلى هذا الحدَّ أياها الرائد .. لقد استتجت

طريقة الخطف والأسلوب الذى اتبعته فى الهجوم على خيركم الشرعى، فى مهارة تجعلنى أشهد لك بالعبقرية .

قالت (سلوى) فى حدَّة :

— لم نكن ننتظر شهادتك هذه .

ضحك (نادر) ضحكة ساخرة، وقال :

— من يدرى ؟ .. ربما تحتاجون إليها فى العالم الآخر ياسيدتى .

قال (نور) فى برود :

— كنت سأكشف شخصيتك حتماً أياها الوغد .

هزَّ (نادر) كتفيه، وقال :

— أشكَّ فى ذلك أياها الرائد، فكل شيء تمَّ إعداده

بدقَّة بالغة .. إننى أعمل هنا منذ عام كامل، منتحلاً إسم

(نادر فهيم)، وكنت طوال هذه الفترة مثال النزاهة

والشرف .. لم يكن بإمكانك كشف شيء واحد .

قال (نور)، وكأنه لم يسمع حديث (نادر) :

— إن حجة تأخرك عن الحضور لم تكن متقنة ..



ثم صوّب مسدسه نحوهم ، وقال :

— والآن .. من منكم يفضل الحصول على شرف البدء؟

بالإضافة إلى أنني لم أشك سوى فيك وفي زميلك (إبراهيم) ،
ولم يكن انتقاؤك من الصعب كما تتصوّر .

نظر إليه (نادر) بتحدّ ، وقال :

— لم تكن لتجد دليلاً واحداً .

ثم صوّب مسدسه نحوهم ، وقال في هدوء وسخريّة :
— والآن .. من منكم يفضل الحصول على شرف

البدء ؟

قال الدكتور (محمد العفيفي) في حنق :

— أيها الجاسوس القذر .. إنك لن تقتل أحداً .

ضحك (نادر) ، وقال :

— هكذا؟! .. فلتكن أنت أول الضحايا إذن .

وفجأة .. اندفع (نور) نحو (نادر) ، وقفز محاولاً ركل
مسدسه ، ولكن (نادر) المنحنى جانباً في مهارة المحترفين ،
ورفع ساقيه في رشاقة المقاتلين ، لتغوص قدمه في بطن
(نور) ، الذي شعر بألم شديد ، أعقبته لكمة في فكّه ،
ألقت به أرضاً ، وسمع (نادر) يصرخ في عصبية وشراسة :

— تريد أن تتظاهر بالبطولة ؟ حسنًا سأمنحك شرف
البدء أيها الرائد .

وراه (نور) يضغط زرّ إطلاق مسدسه الليزرى في
غضب، وهو يصوبه نحو رأسه، ورأى (رمزى) يندفع نحوه
صائحًا :

— لا ليس القائد أيها الجاسوس .

انطلق شعاع الليزر من أنبوب المسدس، وصرخت
(سلوى) جزعًا، وقفز (نور) واقفًا على قدميه، ليتلقى
جسد (رمزى) بين ذراعيه، ومن صدره يندفع خيط من
الدماء الساخنة ..

صاح (نور) في وجه (نادر) :

— أيها القدر .. لقد قتلته .

صرخ (نادر) في شراسة :

— هذا مصيركم جميعًا .. ولكنه أصرّ أن يكون الأول .

أطلقت (سلوى) صرخة رعب عالية، وهى تغطى
وجهها بكفيها، عندما عاد (نادر) يصوب مسدسه إليهم
صارحًا :

— من التالى أيها السادة ؟

وفجأة اندفع الدكتور (حجازى) إلى الغرفة، وخلفه
طيب يحاول منعه، ولكنه صرخ :

— (نور) لن يمكنك أن تصوّر ما كشفت .

ولكنه لم يلبث أن تجمّد في مكانه، ورأى الجميع
الضمادات التى تغطى معصميه، وهو يحدّق في وجه
(نادر) ومسدسه، صائحًا :

— يا إلهى !!

وبسرعة استدار (نادر) نحوه، وملاحظه تشفّ عن
الوحشية والغضب، وضغط زرّ مسدسه الليزرى .

* * *

٧ — مزيد من الدماء ..

برغم المفاجأة الشديدة التي تعرّض لها الدكتور (محمد حجازي)، إلا أن ردّ فعله كان سريعاً مدهشاً، فقد قفز فجأة إلى اليسار فتجاوزته الأشعة، وأصابته الطيب الذي يقف خلفه محطمة ترقوته ..

وصرخ (نادر) في غضب، وهو يصوب مسدسه ليعاود الإطلاق، ولكنّ (نور) أطلق فجأة صرخة قتالية قوية، ارتجفت لها أطراف (نادر)، واستدار في سرعة ليلمح (نور) وهو يدفع جسد (رمزي) بعيداً، ويثب كفهد غاضب نحو (نادر)، الذي حاول إطلاق أشعة مسدسه، ولكنّ (نور) هبط فوقه ليسقط الاثنان أرضاً، ويلتحما في قتال عنيف ..

كان (نادر) هو الأقوى جسداً، ولكن (نور) هو الأكثر غضباً، ولم يلبث أن تخلّص من قبضة (نادر) القوية،

وكال له لكمة أودعها حنقه وقوّته، وتدققت لها الدماء من فم (نادر) وأنفه، ولكنه حاول توجيه لكمة يمينه إلى فكّ (نور)، الذي تفادهاها بمهارة وهوى على فكّ (نادر) يمينه، ثم أعقب ذلك بلكمة كالقنبلة، غاصت في معدة الجاسوس الذي تراخت قبضته، وانهاه عليه (نور) بلكمات غاضبة قاسية، وهو يصرخ :

— خذ أيها الجاسوس القدر .. خذ ..

أسرع الدكتور (محمد العفيفي) نحوه، وجذبه صائحاً :

— كفى أيها الرائد .. ألا ترى أنك ستقتله ؟

توقفت قبضة (نور) في طريقها إلى فكّ الجاسوس، ونظر إلى الدماء التي تغطى وجهه لحظة، ثم أعاد قبضته إلى جانبه، وهو يقول :

— لا بأس بمزيد من الدماء ياسيدي ..

اتسعت عينا (سلوى) دهشة، حينما استمعت لعبارة (نور)، فهي أكثر من يعرف كراهيته الشديدة للعنف

والدمار ، وإزاحة الدماء ، ولكنها رأته ينهض ويسرع ،
فينحنى على جسد (رمزى) ، قائلاً فى جزع :
— ياإلهى !! لائمته ياإلهى .

أسرع الدكتور (حجازى) ينحصر (رمزى) فى اهتمام ،
ثم غمغم فى جزع :

— ياإلهى !! إن الفتى يعانى سكرات الموت .

اتسعت عيننا (سلوى) ذعراً ، وشحب وجه (محمود) ،
وغمغم (نور) فى ذهول :

— الموت !؟

ثم قفز نحو جهاز التليفديو ، وهو يصيح :

— يجب نقله فى الحال إلى أقرب مستشفى .. يجب نقله
حتى ولو اضطررت إلى فك الحظر عن المنطقة .

حكّ (شتاين) ذقنه وهو يتطلّع من نافذة غرفته ، وقال
فى لهجة تشفّ عن الخيرة والتساؤل :

— عجباً !! هناك طائرة من نوع هليكوبتر الإسعاف

النفاثة ، تهبط فى فناء هيئة الطاقة الذرية .. ماذا حدث
هناك ياثرى ؟

أسرع (دافيد) إلى النافذة يتطلّع منها بدوره ، وغمغم
فى قلق :

— ربما أوقفوا برجلنا هناك أو ...

قاطعته (شتاين) فى عصبية :

— مستحيل .. كل شىء تمّ إعداده بدقة بالغة .. لن
يجدوا دليلاً واحداً ضد (نادر) .

غمغم (دافيد) :

— ماذا حدث هناك إذن ؟

صاح (شتاين) فى غضب :

— فليحدث ما يحدث .. فليقتلوا (نادر) ، المهم أن
نحصل على ما نبغى .

تقهقر (دافيد) خوفاً من ثورة رئيسه ، ولكنه لم يستطع
منع نفسه من أن يتمم فى صوت مرتجف :

— ولكن .. الهليكوبتر النفاثة و ...

صرخ (شتاين) في صوت هادر :

— قلت لك إن هذا لا يعينى .. فليحضروا ما يحلو لهم ، حتى لو أحضروا طائراتهم النووية و
وفجأة بتر (شتاين) عبارته ، وبرقت عيناه وهو يصيح :

— يا إلهى !! هذا الأمر يعنى الكثير .

انفجرت أسارير (دافيد) ، وهو يقول :

— ألم أقل لك ؟

أزاحه (شتاين) بعيدًا ، وهو يقول في حنق :

— لست أقصد ما تعنيه أيها الغبي .. إننى أغنى أن

هذا يوحى لى بوسيلة ممتازة لاستغلال الوقت .

قطب (دافيد) حاجبيه ، وهو يسأل :

— ماذا تعنى يا سيدي ؟

أشعل (شتاين) سيجارته ، وهو يقول :

— أغنى أن الحظر المفروض على المنطقة ، يمنع الخروج

منها لا الدخول إليها .

تدلت فك (دافيد) السفلى ، وهو يقول :

— وماذا يعنى هذا أيضًا ؟

ابتسم (شتاين) في خبث ، وقال وهو ينفث دخان

سيجارته :

— يعنى أننا نستطيع استدعاء حوامة دبلوماسية من

سفارتنا ، لتهب فوق سطح المبنى ، وننقل إليها الصندوق

الذى وضعنا فيه هذا العالم المصرى العجوز .. وأنت تعلم

أن الحوامة الدبلوماسية مثل أرض السفارة بالضبط ، يعتبر

القانون الدولى كليهما أرضًا تابعة للدولة المضيفة لا للدولة

المُضيفة ، واقتحام أيهما قد يؤدي إلى إشعال نيران حرب

نووية لا هوادة فيها .

ابتسم (دافيد) ابتسامة بلهاء ، وهو يقول :

— لقد فهمت يا سيدي .. سنختصر المدة الباقية ،

لتضمن حصولنا على العالم المصرى .

نظر (شتاين) في ساعته ، وابتسم وهو يضغط أزرار

التليفديو ، قائلاً :

— نعم يا (دافيد) ، سنختصر نصف ساعة كاملة .

عاد وجه (دافيد) إلى تجهّمه، وهو يقول :

— وماذا لو أنهم توصلوا إلينا قبل وصول حوأمنا ؟

ضحك (شتاين) في سخرية، وهو يقول :

— اطمئن من هذه الناحية يا (دافيد) .. لقد أعدّ كل

شء بمنتهى الدقة .. لن يمكنهم مطلقاً أن يعرفوا من نحن
ولا من أين أتينا .

* * *

— (شتاين جولدمان) و (دافيد بن زاين) .. ضابطا

مخابرات يتبعان دولتي .

قال (نادر) هذه العبارة، في هدوء من يسلم بفشل

مهمته، وهو يمسح خيطاً من الدماء تسلسل خارج

الضمادات التي تغطى وجهه، فعاد (نور) يسأله في

توتّر :

— وأين يمكن أن نجدكما ؟

ابتسم (نادر) في شحوب، وقال :

— ألم تقل بنفسك إنهما في البناية المجاورة ؟

سأله (نور) في جدّة :

— في أى طابق ؟ وفي أى شقة ؟

أجاب (نادر) في سرعة، وكأنه يخشى ثورة (نور) :

— في الطابق التاسع .. الشقة رقم تسعين .

صاحت (سلوى) :

— لم يعد أمامنا سوى ثلاث وعشرين دقيقة

يا (نور) .. لا بد أن نسرع بمنعهم .

تهدّد (نور)، وهو يقول :

— سنفعل يا عزيزتي، ولكن بعد أن نُعدّ حُطّة

مضمونة .

ثم التفت إلى (نادر)، وقال في برود :

— ولتعلم أيها الوغد أن حياتك ستعلق بنجاة

(رمزي) .. فلو أنه لقي نجبه، فسأجعلك تكره كل لحظة

من العام الذي قضيته تعمل هنا .

أشار (محمود) فجأة إلى الخارج، وهو يقول :

— هناك حوامة تقترب من المبنى المجاور أيها القائد ..

إنها تحمل شعار الدولة التي ينتمي إليها هذا الجاسوس .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يقول :

— يا إلهي !! هذا يغيّر الأمر تماما .

واختطف مسدسه الليزري ، وهو يصيح :

— أسرعوا يارفاق .. لا بد أن نلحق بهؤلاء الأوغاد ، قبل

أن يُتمُّوا عمليتهم القادرة .. أسرعوا .

* * *



٨ — الهجوم ..

قالت (سلوى) في صوت لاهث من شدة الانفعال ،
وهي تتبع (نور) و (محمود) والدكتور (محمد العفيفي) ،
إلى سطح المبنى المجاور :

— ماذا تنوي أن تفعل يا (نور) ؟ .. إن الهجوم على
حوامة دبلوماسية تابعة لدولة أجنبية ، يمكن أن يقيم حربنا
نووية .

صاح (نور) ، وهو يرتقى الدرج الأخير :
— ولكن إطلاق الأشعة على جاسوسين ، لا يؤدي
إلى ذلك يا (سلوى) .

صاحت في دهشة تمتزج بالفزع :
— (نور) .. ماذا تقول ؟ .. لقد تغيرت كثيرا .
وفي تلك اللحظة .. سمع الجميع صوت محركات
الحوامة وهي تدور ، استعدادا للانطلاق ، فصاح الدكتور
(محمد) :

— أسرع أيها الرائد .. إنهم ينطلقون .

قال (نور) ، وهو يحاول معالجة مزلاج الباب المؤدى

إلى السطح في يأس :

— هذا الصوت يعنى استعداد الحوامة للانطلاق ،

لا انطلاقها بالفعل يا دكتور (محمد) .

ثم لم يلبث أن صاح في حنق :

— يا لهؤلاء الأوغاد !! لقد أغلقوا المزلاج الإلكتروني

خلفهم .

وابتعد بضع خطوات ، وهو يصوب مسدسه الليزري

إلى المزلاج صائحاً في رفاقه :

— ابتعدوا قليلاً .. سأحطم هذا المزلاج اللعين .

وانطلقت من أنبوب مسدسه دفعة من الأشعة ، ذاب

لها المزلاج ، واندفع (نور) يزعج باب السطح ، ويقفز إلى

هناك ..

كان الجاسوسان (شتاين) و (دافيد) قد انتبها من

وضع الصندوق الذى يحوى العالم المصرى فى الحوامة ،

ولكنهما لم يتخذا مقعديهما داخلها بعد ، حينما اندفع

(نور) إلى السطح ، وخلفه رفاقه ، فصاح (دافيد) فى

رُعب :

— يا للشيطان !! لقد لحقوا بنا ياسيدى .. لقد ...

ويتر عبارته التى امتزجت بصراخ يحمل الألم والدُعر ،

عندما اخترقت أشعة (نور) ساقه اليسرى ، ولكن

(شتاين) أسرع ينتزع مسدسه الليزري ، ويطلق منه ثلاث

دفعات متوالية ... وقفز (نور) جانباً برشاقتة المكتسبة من

تدريبات الخابرات ، ولكن رفاقه لم يكونوا قد تلقوا

تدريبات مماثلة ؛ لذا فقد تلقى (محمود) دفعتين من الأشعة

فى صدره ، وجانب عنقه ، وأطلق صيحة ألم وهو يهوى

أرضاً ، على حين اخترقت الدفعة الثالثة ذراع (سلوى) ،

التي أطلقت صرخة عالية تفجّر لها الغضب فى نفس

(نور) ، فصرخ فى غيظ :

— أيها الأوغاد .

وانطلقت من مسدسه دفعة أطاحت بمسدس (شتاين) ،

الذى تحرك فى سرعة عجيبة ، فقفز داخل الحوامة صائحاً :

— انطلق أيها الطيَّار .. انطلق بنا بعيدًا .

صاح الدكتور (محمد) :

— ربَّاه !! إنهم يهربون .

ولكن (نور) أطلق أشعته محطَّمًا اشترَكَ النَّفَّاثَ
للحَوَامَّةِ ، التي خرج منها صوت يشبه زئير الأَسَدِ ، قبل أن
تتوقَّف تمامًا ، ويسود صمت مرعب ، انطلق بعده صوت
(شتاين) صارخًا :

— حذار أيها الشَّرْطِيُّ .. لو أطلقت دفعة واحدة من
مسدِّسك ، فستشعل حربًا نووية بين دولتنا .

تجاهل (نور) التحذير ، وصوَّب مسدسه إلى
(شتاين) ، الذي شحب وجهه رعبًا .. ولكن الدكتور
(محمد العفيفي) أسرع يتعلَّق بذراعه ، قائلاً :

— كفى أيها الرائد .. لقد منعت حوَّامتهم من
الإقلاع ، وهذا وحده يكفي لإثارة أزمة دبلوماسية .. ثم إن
ما يقوله هذا الوغد صحيح للأسف .

استوعب عقل (نور) الأمر بسرعة ، فأرخى مسدسه ،

واستدار يسرع الخطا نحو زوجته و (محمود) ، ولكن
(سلوى) صاحت في ألم :

— دَعَكِ مَنْسَى يَا (نور) .. لن يقتلنسى جرح في
ذراعي .. حاول إسعاف (محمود) .

أسرع (نور) يفحص جراح (محمود) في جرح ، ثم لمَّ
يلبث أن غمغم :

— يا إلهي !! لقد أصيب في موضع القلب تقريبًا ..
إن دمائه تنزف بغزارة .. وعنقه كذلك ..

وفي تلك اللحظة .. ظهر الدكتور (حجازي) على
الباب المؤدَّى إلى السطح ، واندفع دون أن ينطق بكلمة
نحو جسد (محمود) ، وفحصه في سرعة ، ثم قال :

— هذا الفتى سيلفظ أنفاسه الأخيرة ما لمَّ ينقل فورًا
إلى قسم الرعاية المركزة .

نهض (نور) واقفًا في صمت ، ينظر إلى الحوَّامة
الأجنبية ، وقد ارتسمت على ملامحه أقصى علامات
الغضب والحنق والكرهية ، وسمع الدكتور (محمد
العفيفي) وهو يقول :

— يا للهول !! هل سنظل نتأملهم هكذا ، دون أن
نقدر على منعهم ؟

استمر (نور) على صمته بضع لحظات ، ثم قال في
صوت يفيض بالكراهية :

— كلاً يا دكتور (محمد) .. إننا لن نسمح لهم بهزيمتنا
على أرضنا .

تردد الدكتور (محمد) لحظة ، قبل أن يسأله :

— وماذا سنفعل أيها الرائد ؟

استدار إليه (نور) ، وأمسك كفيه في قوة ، وقال في
صوت خافت ، وهو يضغط كل حرف من حروف
كلماته :

— اسمعني جيداً يا دكتور (محمد) .. هل تعرف
(مشيرة محفوظ) ؟

نظر إليه الدكتور (محمد) في دهشة ، وقال :

— إذا كنت تقصد مذيعة أبناء الفيديو ، فأنا أعرفها
بالتأكيد .

قال (نور) في حزم :

— سنفعل ما سأخبرك به إذن .. سنصل أولاً بالمركز
الإسعافي ، لنقل (محمود) وعلاجه ، ثم نتصل بـ (مشيرة)
وستخبرها بما سأفعل عليك الآن .

* * *

وضع قائد الحوامة الأجنبية سبأته على زر الاتصال ،
ثم التفت إلى (شتاين) ، الذي ينفث دخان سيجارته في
عصية ، وقال :

— سترسل السفارة حوامة ثانية ياسيدي ، ولكن
كيف ننتقل إليها ؟ .. أنت تعلم أنه بإمكانهم اصطيدنا في
أثناء خروجنا من هذه الحوامة ، فالمسافة التي ستفصل
الحوامتين تعدُّ أرضاً مصرية .

قذف (شتاين) بقايا سيجارته من نافذة الحوامة في
عصية ، وهو يقول :

— اطمئن أيها الطيار .. لقد أعددنا لكل شيء
عُدته .. إننا نطأ أرضاً مصرية بأقدامنا .. ستلتصق بباب
حوامتنا الحوامة الأخرى ، حتى يمكننا العبور إليها مباشرة .

ساد الصمت لحظات ، تأمل (شتاين) خلالها هليوكبتر
الإسعاف ، وهي تحمل جسد (محمود) ، والحوامة المصرية
التي هبطت على بعد أمتار قليلة منهم ، ثم قال وهو يشعل
سيجارته العاشرة منذ دخوله إلى الحوامة :
— يبدو أن المصريين يُعدّون أمراً ما .. لم أكن أودّ أن
تنتهى المهمة بهذا الشكل المكشوف .

قال الطيّار في تردّد ، وهو يراقب الموقف بدوره :
— لماذا لا نسلّمهم رجلهم ياسيّدى ؟

صاح (شتاين) في غضب :

— ماذا تقول أيها الأحمق ؟ .. سنحصل على صيدنا
مهما كان الثمن .. ألا تدري أنهم لا يستطيعون إثبات
وجود الدكتور (حسن) بحوزتنا ، إلا إذا دُمروا الحوامة أو
اقتحموها بالقوة .. وهذا ما يحاولون تجنّبه .

قال الطيّار :

— ألا يمكنهم أن يشهدوا بذلك ؟

ضحك (شتاين) في توثر ، وقال :
— سننكر ذلك بالطبع ، وسنقول إن الأمر ملفق ..
إن إثبات ذلك مستحيل أيها الرجل .. صدّقنى .. مازلنا في
الموقف الأقوى .

ابتسم الطيّار ابتسامة معوّثة ، وقال وهو يشير إلى
السماء :

— بالطبع ياسيّدى .. وها قد وصلت حوامتنا
الثانية .. لقد انتصرنا ياسيّدى .



٩ — مطاردة في السماء ..

شعر (نور) بحق بالغ يملاً نفسه، عندما هبطت الحوامة الأجنبية الثانية فوق سطح المبنى، وحرص قائدها على أن يهبط في مهارة، ملاصقاً الحوامة المعطلة تماماً ..
فالتفت (نور) إلى الدكتور (محمد العيفى)، وسأله :
— هل أبلغت (مشيرة محفوظ) الرسالة، كما سمعتها متى تماماً ؟

قال الدكتور (محمد العيفى) :
— نعم أيها الرائد، وإن كنت لم أفهم ما تنويه بالضبط .

تعلمت (سلوى) بذراع (نور)، ولوّحت بذراعها المصابة، وهى تقول فى ضيق :
— هل نويت ضمّ (مشيرة محفوظ) إلى الفريق يا (نور) ؟

تجاهل (نور) الغيرة الواضحة فى صوتها، وقال فى أسف .
— فلندع الله أن يعود الفريق قريباً يا (سلوى) .
اقترب منه فى هذه اللحظة، الملازم قائد الحوامة المصرية، وقال بعد أن أذى التحية العسكرية :
— لن يمكننا اصطيادهم أيها الرائد .. إن الحوامتين متلاصقتين تماماً .

غمغم الدكتور (محمد العيفى) فى حق :
— لو أن الأمر بيدى، لأطلقت أشعنى عليهم، متجاهلاً قواعد القانون الدولى .

قال (نور) فى هدوء :
— وكنت ستفقد حقوقك فور ذلك يا دكتور (محمد) .
ثم صمت لحظة، وعاد يردف :
— مع أنه بإمكانك فعل ذلك، وضمّان حقك فى الوقت نفسه .

سأله الدكتور (محمد) فى دهشة :
— كيف أيها الرائد ؟

قال (نور) في هدوء :

— ذغ ذلك لي يا ذكور (محمد) ، وثيق أن هؤلاء
الأوشاد لن يهزمونا على أرضنا مطلقاً .

* * *

فهبه (شتاين) في فرح جنوني ، وهو يدق بكفيه في
انفعال ، على الصندوق الذي يحوى جسد الدكتور
(حسن) ، وصاح وهو يهيم بمعانقة قائد الحوامة المعطلة :

— لقد نجحنا يا رجل .. نجحنا ونقلنا صيدنا إلى
الحوامة السليمة .. سننطلق على الفور إلى سفارتنا .

قال قائد الحوامة الجديدة في قلق ، وهو ينظر إلى الجنود
المصريين ، الذين تجمعوا فوق سطح المبنى حول الحوامة
المصرية :

— ودذت لو شاركتك ثقتك هذه بالنصر يا سيد
(شتاين) ، ولكن ما أراه لا يبشر بالخير .

ضحك (شتاين) ، وقال وهو يربت على كتف الطيار
الجديد :

— اطمئن يا صديقي .. إننا نعدُّ في أرضنا داخل
حوامتنا هذه ، ولن نغادرها إلا في أرض سفارتنا ، وأنت تعلم
أن القانون الدولي يُعدها أرضنا أيضاً .

ثم اضطجع في مقعده ، وأشعل سيجارته ، وهو يقول في
ثقة انفراد بها :

— هلمَّ يا رجل .. انطلق بنا في اطمئنان .. لقد
انتصرنا .

* * *

بدأت محركات الحوامة الأجنبية تدور ، فأسرع (نور)
نحو قائد الحوامة المصرية ، وقال في لهجة آمرة :

— اهبط يا صديقي .. سأحصل على هذه الحوامة ،
باسم الخبايا العلمية .

هزَّ قائد الحوامة كفيه وهو يهبط ، سائلاً (نور) في
هدوء عجيب :

— هل تحمل تصريحاً بقيادتها ؟

أدار (نور) محركات الحوامة ، قائلاً في اختصار :

— بالطبع .

ولم تكذ الحوامة الأجنبية ترتفع حتى ارتفعت خلفها
حوامة (نور) في مهارة، ظهرت واضحة في نظرات
الحاضرين، وقالت (سلوى) في قلق :

— أرجو من الله (سبحانه وتعالى)، ألا يتجاوز (نور)
مقدرته في قيادة الحوامات .. إنه حينما يتحمس لأمر ما فإنه ..
قاطعها قائد الحوامة المصرية، قائلاً :

— اطمئني يا سيدتي .. لو أنني أنا الذى أقودها،
ما كنت أكثر مهارة .

وفي اللحظة نفسها، صاح قائد الحوامة الأجنبية في
توتر :

— إنهم يطاردوننا يا سيد (شتاين) .

ابتسم (شتاين) في هدوء، وقال :

— فليفعلوا ما يريدون يا رجل .. قلت لك إننا انتصرنا .

ثم اعتدل، ونفت دخان سيجارته، وهو يستطرد :

— زد من سرعتك، حتى نصل إلى سفارتنا في أسرع

وقت ممكن، لقد أوحشنى علمنا ذو النجمة السُداسية .

قال الطيار بصوت يشف عن القلق :

— إننى أنطلق بأقصى سرعة بالفعل .

صاح الطيار الآخر في فرح :

— ها هو ذا علمُ سفارتنا .. لقد وصلنا يا سيد (شتاين) .

صرخ (شتاين) في فرح، وأخذ يصفق بكفيه

كالأطفال، ولكنه فوجئ بجسده يميل فجأة، حتى كاد

يسقط من مقعده، فصاح في غضب :

— ماذا تفعل أيها الأحمق ؟ .. هل تظن نفسك في مناورة

حربية ؟

صاح الطيار، وهو يتشبث بعصا القيادة :

— إنه هذا الضابط المصرى .. لقد اعترض طريقنا ..

إنه يحاول منعنا من الهبوط في السفارة .

تشبث (شتاين) بمقعده، وهو يغمغم في ذهول :

— يحاول منعنا ؟

ولكنه لم يلبث أن صاح في غضب :

— هذا ليس من حقّه .. ليس من حقّه .
 ووضع يده على كتف الطيّار ، قائلاً في شراسة :
 — لقد شاهدته الجميع يعترض حوامتنا الدبلوماسية ..
 لقد جعل موقفنا سليماً .. أطلق مدافع الليزر عليه ..
 حطّمه ولا تخش شيئاً .



انطلق عمودان من أشعة الليزر الفتاكة ، من المدفعين المثبتين في مقدمة الحوامة الأجنبية ، واخترقا سماء القاهرة ، في طريقهما نحو حوامة (نور) ، ولكنه انحرف في مهارة ، مخاطرًا باتخاذ مسار عمودى مفاجئ ، ثم عاد يدور دورة أفقية ماهرة ، ليعترض طريق حوامة (شتاين) ، التي اضطرت إلى الابتعاد عن سفارتها للمرة الثانية .. وعاود قائدها إطلاق مدافع الليزر على حوامة (نور) ، الذي هبط في هذه المرة بصورة حادة ، وعاد يرتفع بعد تجنبه شعاعى الليزر ، يبرق بحوامته أمام الحوامة الأجنبية ، ثم ينقض عليها في مبادرة مذهلة ، أربكت قائدها ، فدار بحوامته حول نفسها ، ولم يسمع صوت الصرخات التي انطلقت من أفواه المارة في شوارع المدينة ، ولكنه سمع صوت صرخة (شتاين) ، وهو يقول :

— اقتله .. لا تسمح له باعتراض حوامتنا .. هذا ليس من حقّه .. اقتله .

عادت مدافع الليزر تطلق أشعتها ، وتفادها (نور) أيضًا هذه المرة في مهارة ، وهو يغمغم :

— حان وقت ردّ الاعتداء أيها السادة ، ولنر من منا أكثر جرأة ومهارة .

ثم دار بحوامته وقد تحوّل الأمر إلى دوران مستمر ، وأطلق مدفعي الليزر بحوامته ، وشاهد الشعاعين الزرقاوين ، يشقان الهواء ، ويرتطمان بالتحرك الخلفى للحوامة الأجنبية ، فتطير أجزائه ، وتفقد الحوامة أوزانها ، فتدور حول نفسها بشكل مرعب ، وفي داخلها صرخ (شتاين) :

— افعل شيئاً أيها الطيار .. حاول أن تهبط في فناء السفارة .

قال الطيار في لهجة لاتقل قلقًا عن (شتاين) :

— لم يَعد لدينا الخيار يا سيّد (شتاين) .. سنهبط على الرغم منّا في الشارع المواجه للسفارة .. لقد أجبرنا هذا الضابط المصرى اللعين على هذا .

فغر (شتاين) فاه ، وبدت البلاهة على ملامحه لحظة ،
انهار بعدها فوق مقعده قائلاً :

— ليكن .. إنه لن يجرؤ على اقتحام حوامتنا دون
شهود .. إنه لن يجرؤ .

هبطت الحوامة الأجنبية مرغمة في الطريق ، على بعد
عشرة أمتار من بوابة السفارة ، على حين تعمّد (نور)
المبوط بحوامته عمودياً ، حيث استقرت في المسافة بين
الحوامة الأجنبية والسفارة ، واحتشد الطريق بجمع من
الناس ، في نفس اللحظة التي قفز فيها (نور) من حوامته ،
شاهراً مسدسه الليزرى ، وانطلق نحو الحوامة الأجنبية .

اختطف (شتاين) مسدس الطيار ، ودفع باب
حوامته ، وصوب مسدسه إلى (نور) ، وهو يصيح في
جنون :

— لقد بدأت بالاعتداء أيها المصرى ، وبحق لي قنلك .

وفجأة وبمركبة سريعة ماهرة ، رفع (نور) مسدسه
الليزرى ، وأطلق منه دفقة أشعة ، أطاحت بمسدس

(شتاين) ، وأخرى اخترقت كتف هذا الأخير ، الذى
أطلق صرخة تجمع بين الألم والخوف والذهول ، وهو يسقط
على ظهره ..

وقبل أن يدرك أحد ما حدث ، أطلق (نور) دفقة
أخرى ، اخترقت زجاج الحوامة ، وحطمت جهاز
الاتصال ، الذى رفعه الطيار ، ثم اندفع (نور) إلى الحوامة
الأجنبية ، ودفع (شتاين) جانباً في قسوة وهو يقفز
داخلها ، وتفادى لكمة قوية وجهها إليه قائد الحوامة
الأجنبية ، ثم كال له لكمة ساحقة ، سقط الرجل إثرها
متأوهاً متألماً ، على حين رفع الطيار الآخر ذراعيه ، وهو
يصرخ في دُعر :

— إننى أستسلم .

وصرخ (شتاين) ، وسط المرح الذى ساد المكان :

— ليس هذا من حَقِّك .. ليس من حَقِّك .

ولكن (نور) تجاهل صراخه ، وهو ينهمك في فتح
الصندوق الضخم .. ولم يكذبصره يقع على الدكتور

المتصِّب على جبينه ، وأشار إلى الدكتور (حسن) ، قائلاً
في صوت هادر :

— إنكم تختطفون علماءنا يا سيِّد (شتاين) .. ألا
يُعَدُّ هذا عملاً عدوانياً .

صرخ (شتاين) ، وهو يكمِّت براحتة الدَّم المتدفِّق من
جرحه :

— ليس لديك دليل واحد أيها المصري .. عليك أن
تثبت أنك أخرجته من حوَّامتا .

ابتسم (نور) ، وقال :

— وماذا عن شهود المطاردة ؟

صاح (شتاين) :

— كلهم من المصريين وأعضاء سفارتنا .. سنقول إنها
مؤامرة من قبل المصريين لإحراجنا دولياً ، ولن ينطق أعضاء
سفارتنا بكلمة واحدة .

أُتسعت ابتسامة (نور) ، ثم لم تلبث أن تحوَّلت إلى
قهقهة عالية ، ونظر إليه (شتاين) والطياران في دهشة ،
وصرخ الأول في غضب :



(حسن) ، ولح صدره يعلو ويهبط بأنفاسه المتردِّدة ، حتَّى
تنهَّد في ارتياح ، والتفت إلى (شتاين) ، قائلاً في سخرية :
— سأخرج الدكتور (حسن) أولاً ، ثم نتناقش في
المنوعات يا جاسوس العِلْم .

صرخ (شتاين) في جِدَّة :

— لقد ارتكبت خطأ زهيباً باقتحامك حوَّامتا أيُّها
المصري .. ستفصل من وظيفتك .

حمل (نور) جسد الدكتور (حسن) ، ومدَّده على
الأرض خارج الحوَّامة في هدوء ، ثم انتصب ومسح العرق

— ماذا يضحكك بحق السماء ؟

أشار (نور) إلى فتاة جذابة تقف على بعد أمتار قليلة منه، وقال :

— هل تمّ كل شيء بحسب اتفاقنا يا (مشيرة) ؟

اقتربت منه الفتاة، قائلة في هدوء :

— كل شيء أيها الرائد .. على الهواء مباشرة ..
وبالتوزيع العالمي المجسم .

تدلّت فك (شتاين) السفلى في بلاهة وهو يغمغم :

— ماذا يعني هذا ؟

أوما (نور) بيده تجاه الفتاة، وقال في هدوء :

— نسيت أن أقدم لك زميلتي يا سيّد (شتاين) ..
إنها تدعى (مشيرة محفوظ)، صاحبة أشهر تحقيقات أنباء
(الفيديو)، وهي أشهر صحفية في مجال الصحف المرئية،
يذاع برنامجها على موجات بث القمر الصناعي المجسم،
بالألوان الطبيعية المجسّمة، في خمسين دولة على الأقل، منهم
دولتك للأسف .

بدا بوضوح من امتقاع وجه (شتاين) أنه فهم كل
شيء، على حين استطرد (نور) في هدوء :

— وهكذا شاهدت هذه الدول الخمسون، وعلى
الهواء مباشرة من خلال أجهزة (الهولوفيزيون) المجسّمة، كل
ما حدث بيننا، منذ غادرنا سطح المبنى الجاور لهيئة الطاقة
الذرية، وحتى هذه اللحظة .. كل ما حدث يا سيّد
(شتاين) حتى إخراجي الدكتور (حسن) فاقد الوغى من
حوّامتكم .. لقد أصبح لدينا ملايين الشهود على فعلتكم
الدينئة يا سيّد (شتاين) .

تحوّل وجه (شتاين) إلى الشحوب الشديد، وشعر
بخصّة في حلقه تمنعه من النطق، ولكنه لم يلبث أن تغلّب
عليها مغممًا :

— كل شيء ؟!

قال (نور) في هدوء وصرامة :

— كل شيء يا سيّد (شتاين) .

ثم أردف في قسوة :

— هل تظن نفسك نجمًا سيناليًا أيها الرائد ؟
نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية هذه
العبارة ، في جِدَّة و غضب أدهشا (نور) ، الذي ارتفع
حاجباه عاليًا وهو يغمغم :

— ولكننا نجحنا في إنقاذ عالمتنا ياسيِّدى و

قاطعته القائد الأعلى ، صائحًا في غضب :

— بل قُلْ إنك صنعت أكبر فضيحة دبلوماسية ، في
القرن الحادى والعشرين أيها الرائد .. لقد جعلت العالم كله
يرى كيف أنهم نجحوا في إخراج عالمتنا من هيئة الطاقة الذريَّة
أمام أعيننا .. لقد تصرَّفت تصرُّفًا خاطئًا أيها الرائد .

شعر (نور) بغضب عنيف يجتاح نفسه ، حتى أنه قال
في جِدَّة :

— المهم أننا منعناهم في النهاية ياسيِّدى .. ولقد بذلنا

— لقد هُزمتُم أيها الوغد .

فوجئ (نور) بـ (مشيرة) ، تقول في صوت خافت :

— لقد هُزمتُما يا (نور) .

التفت إليها ، وسألها في دهشة :

— ماذا تعنين يا (مشيرة) ؟

قالت في هدوء ، وهى تشير لزملائها بايقاف

التصوير :

— أغنى أن رؤساءك لن يعجبهم هذا أيها الرائد .

وأردفت في لهجة تحمل رئة الأسف .

— سيحدث هذا مع الأسف .



في سبيل ذلك كل ما بقدرتنا .. إن (رمزي) ما زال فاقد
الوعي ، في قسم الرعاية المركزة بالمستشفى ، و (محمود)
في حالة من الخطورة ، حتى أنه أقرب إلى الموت منه إلى
الحياة ، وزوجتي أصيب ذراعها و
قال القائد الأعلى في جِدَّة أكبر :

— كفى أيها الرائد .. لقد تجاوزت حدودك ، ولن
نسمح لك بأكثر من ذلك .
وأشاح بوجهه بما يعنى انتهاء المقابلة ، وهو يقول في برود :
— لقد أصدرت أوامري بنقلك إلى شرطة الفضاء أيها
الرائد .

مطَّ (نور) شفثيه ، وهو يشعر بحرق بالغ يملاً نفسه ،
ولكنه بالرغم من ذلك ، رفع يده بالتحية العسكرية ، ودار
على عقبيه نصف دورة ، ثم تحرك في خطوات ثابتة ، وغادر
مكتب القائد الأعلى .

هزَّ الدكتور (محمد حجازي) رأسه في أسف ، وقال في
لهجة أقرب إلى الاشتزاز :

— شرطة الفضاء !! يالندحلات السياسة اللعينة .
حرك (نور) كتفيه بشكل يشف عن اللامبالاة ، وهو
يقول :

— هذا لايمم يادكتور (حجازي) .. إن الشرطى يقوم
بواجبه في كل مكان .

ثم تحوَّلت لهجته إلى الاهتمام ، وهو يستطرد :
— المهم هو كيف حال (رمزي) و (محمود) ؟
صمت الدكتور (حجازي) طويلاً ، ثم قال :
— حالهما غير مطمئن للأسف يا ولدى .. مازالا
يصارعان الموت في يأس .

سالت دمة ساخنة على وجنة (نور) ، وهو يغمغم :
— فلندعُ الله أن يهبهما الشفاء .
ساد الصمت لحظة ، ثم قالت (سلوى) في محاولة لتغيير
الحوار :

— هل تتصوَّر أنني حتى الآن لم أعلم ما كشفته في
البقايا المحترقة يادكتور (حجازي) ؟

أوماً الدكتور (حجازى) برأسه ، قائلاً :
— هذا صحيح يا بنيتى ، فالأمور لم تسيء منتظمة
متساقطة هذه المرة .

سأله (نور) :

— هلاً أخبرتنا الآن بما وجدت ياسيدى ؟

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

— لقد كشفت أن تلك الساق قديمة ، مرّ على وفاة
صاحبها ثلاثة أيام على الأقل ، ولكنها حُفظت بطريق
التجميد ، ثم أحرقت أطرافها المقطوعة حديثاً .

ابتسم (نور) ، وقال :

— كان هذا كفيلاً بكشف الأمر على الفور .

وافقه الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

— لهذا حاول (نادر) التخلص منى ، لولا تدخلكم

يا (نور) .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

— هل تؤمن بالتشاؤم يا دكتور (حجازى) ؟

نظر إليه الدكتور (حجازى) و (سلوى) فى دهشة ،
وسألاه فى آن واحد :

— ما معنى سؤالك هذا يا (نور) ؟

ابتسم ابتسامة جافّة ، وهو يقول :

— إنها المرّة الأولى التى ينكشف فيها الجرم قبل أن
أتوصّل إليه ، ولقد استبعب ذلك مجموعة من الحوادث
المؤسفة ، فأصبحت أنت يا دكتور (حجازى) ، وكبدت
تلقى حتفك ، وما زال (رمزى) و (محمود) يصارعان
الموت ، و (سلوى) أصيبت ذراعها ، وأنا نقلت من
اخبارات العلمية إلى شرطة الفضاء ، وعوقبت — لأوّل
مرة — على انتصارى .. ماذا يكون التشاؤم إن لم يكن
كذلك ؟

ضحك الدكتور (حجازى) ، وقال :

— يا إلهى !! هل تؤمن حقاً بما تقول يا (نور) ؟ لقد

ظننتك أقوى من ذلك كثيراً .

ابتسمت (سلوى) فى خبث ، وقالت :
— لا تصدّقه يادكتور (حجازى) .. إنه يمزح
أو يتظاهر بالضعف .

ضحك الدكتور (حجازى) ، وقال :
— اطمئنى يا بنيتى .. إننى أعرف (نور) جيّدًا ..
فيرغم المحنة التى يمرُّ بها ، ما زال — فى رأى — أعظم رجل
شرطة أنجيت مصر ، وإن ما يدور فى قلبه الآن لا يعدو مجرد
نار باردة ، سيمحوها فجر قريب بإذن الله .

* * *

* تمت بحمد الله *